الظروف والوقائع كافة، على ما يؤثر فيها من اعتبارات سياسية متشعبة، ثابتة كانت أم متغيرة، إلى سن عدد لا بأس به من القوانين الاسرائيلية المختلفة، منذ قيام إسرائيل وحتى اليوم، بهدف التعامل مع الفلسطينيين، بكافة أبعاد قضيتهم التي قد تكون لها علاقة بالكيان الصهيوني أو قد تؤثر فيه. وترسم هذه القوانين بمجموعها صورة غريبة للفلسطينيين، لا يمكن فهمها الا بواسطة النظر إليها من خلال الاعتبارات السياسية التي أملتها والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. كما أن تلك القوانين تعبّر، من ناحية ثانية، بصورة واضحة للغاية، عن نواح عدة من الصراع الصهيوني – الفلسطيني غير المنقطع.

وقبل الخوض في هذه القوانين، على اختلاف أهدافها وأبعادها، تجدر الاشارة إلى أن لفظة «فلسطين» أو «فلسطيني» لا ترد الا نادرا في القوانين الاسرائيلية، وعند الحديث عن الماضي فقط، وذلك لاعتبارات عقائدية وعملية. ففلسطين هي، حسب المفاهيم الصهيونية، «أرض – اسرائيل»، أو على وجه التحديد «أرض – اسرائيل الغربية»، والفلسطيني هو من «عرب أرض – اسرائيل» أو «سكانها»، وأحيانا «مواطنيها». والمشرّع الاسرائيلي غالبا ما يتصرف بطريقة فيها شيء من الحذر و«الذكاء»، على طريقته، عندما يضع القوانين التي تعنى بالفلسطينيين أو بما يتعلق بهم، فيلف ويدور مثلاً، أو يلجأ إلى أسلوب النفي، على طريق الايجاب، أو يحاول أن يغلف اجراءاته، مهما كانت اعتباطية، بالعدل والمنطق، الخ. وكثيراً ما يضطر المرء للقراءة بين السطور، للوقوف على مغزى قانون أو مادة ما، أو هدفهما.

طابع اسرائيل الصهيوني

يتأثر وضع الفلسطينيين (وغيرهم) أو مركزهم، سواء كانوا داخل اسرائيل أم خارجها، بالطابع الصهيوني لاسرائيل، على ما لذلك من دلالات، وتأثيرات مختلفة. ويجد هذا الطابع الصهيوني تعبيراً عنه في قوانين اسرائيلية عدة، صيغت خصيصا لذلك، في مطلع الخمسينات، من خلال الصراع الذي نشب بين الصهيونيين، على اختلاف فئاتهم، حول إعادة تحديد أهداف الصهيونية بعد إقامة إسرائيل.

ان إسرائيل، كما هو معروف، وليدة الحركة الصهيونية، ولكن مجرّد ولادتها أدت، في حينه، إلى «تخفيض» جدي في قيمة الحركة. فبعد إقامة إسرائيل، مر الصهيونيون في مرحلة من إعادة النظر، من حيث مفهومهم لأهداف حركتهم ومستقبلها، أدت إلى نشوب خلافات حادة بينهم. فقد رأى بعضهم أن الحركة الصهيونية قد حققت أهدافها وأدت مهامها كاملة مع إقامة إسرائيل، بحيث لم يبق تقريبا أي مبرر لاستمرار وجودها! وان على الصهيوني «المخلص» أن يهاجر إلى اسرائيل، ومن لا يقم بذلك لا يعتبر صهيونيا. بينما اعتقد آخرون انه لا بد من الاستمرار في المحافظة على التنظيم الصهيوني، للعمل بين اليهود في المهاجر وغيرهم لتدعيم اسرائيل. كذلك ثارت خلافات على صعيد آخر، حول مسألة أي من الطرفين هو الاكثر «أهمية»، أو بلغة أخرى: من هو القائد أو صانع القرارات في العالم الصهيوني – الاسرائيلي: اسرائيل وحكومتها أو المنظمة الصهيونية العالمية وادارتها؟